

صورة المجتمع الاسطنبولي في القرن 18م من خلال الرحالة الليدي ماري وورتلي مونتاغيو

The image of Istanbul society in the 18th century by the traveler Lady Mary Wortley Montagu

أمينة مولوة * ¹

¹ جامعة يحي فارس - المدينة، aminamouloua23@yahoo.com

نادية طرشون²

² جامعة يحي فارس - المدينة، nadia.terchoune@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/01/ 10

تاريخ القبول: 2025/11/ 01

تاريخ الاستلام: 2025/10/ 06

ملخص:

لطالما خطفت عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول أنظار الرحالة الأوروبيين رجالاً ونساءً، وذلك لما تتمتع به من خصائص ومميزات - ولعل أهمها أنها تجمع بين حضارة الشرق والغرب - فأصبحت مقصداً تتوالى إليه الرحلات خاصة في القرن 18م، ورغم اختلاف دوافع الرحالة وأهدافهم، إلا أنهم اجمعوا على حب الشرق والرغبة في اكتشافه. وتعد الليدي ماري وورتلي مونتاغيو واحدة من أشهر الرحالة الانجليز الذين زاروا مدينة إسطنبول وشغفوا بها. وهذا ما عبرت عنه في رسائلها التي ضمت تفاصيل مشوقة عن المجتمع الاسطنبولي بنظرة مغايرة عما جاء به غيرها من الكتاب الذين رَووا تجاربهم في العالم العثماني بطابع يغلب عليه التحيز والنظرة السلبية.

الكلمات الدالة: الليدي ماري وورتلي مونتاغيو؛ انجلترا؛ إسطنبول؛ النساء العثمانيات؛ الرسائل.

Abstract:

The capital of the Ottoman state, Istanbul, has always captured the eyes of European travelers, men and women, because of its characteristics and advantages - perhaps the most important of which is that it combines the civilization of the East and the West - so it became a destination for trips, especially in the 18th century, and despite the different motives and goals of travelers, they met on the love of the East and the desire to discover it. Lady Mary Wortley Montagu is one of the most famous English travelers who visited Istanbul and had a passion for it. This is what she expressed in her letters, which included interesting details about the Society of Istanbul with a different view from that of other writers who

recounted their experiences in the Ottoman world with a predominantly biased and negative view.

Keywords: Lady Mary Wortley Montagu; England; Istanbul; Ottoman Women; Letters.

المؤلف المرسل : أمينة مولوة، aminamouloua23@yahoo.com

مقدمة:

شهد القرن 18م ازدياداً ملحوظاً في اهتمام الرحالة الأوروبيين بالدولة العثمانية؛ حيث شكّل الشرق بالنسبة إليهم عالم مثير للدهشة وموضوع ملهم للكتابة والمقارنة مع الغرب. ويمكن القول أنّ هذا الاهتمام ارتبط بما يُعرف بسحر الشرق الذي يمزج بين الانبهار من جهة، والنظرة الاستشراقية المليئة بالأحكام المسبقة من جهة أخرى. وباعتبار الدولة العثمانية إحدى القوى الكبرى الفاعلة وخصم تاريخي عنيد لأوروبا، مثّلت في مخيال الرحالة فضاء غريب ومختلف ينبغي اكتشافه ولم يقتصر اهتمامهم على وصف المعالم الأثرية بل تعدّاه إلى تدوين مشاهداتهم عن تفاصيل الحياة اليومية، وقد شكلت هذه الانطباعات مادة دسمة للقراء الأوروبيين الذين كانوا يتطلعون إلى معرفة أسرار الشرق ونمط عيش العثمانيين، فتراوحت كتاباتهم بين تمجيد الشرق، والمبالغة في انتقاده.

وتعدّ الليدي ماري وورتلي مونتاغيو من سيدات الطبقة الأرستقراطية الإنجليزية الراقية وزوجة أحد الدبلوماسيين. ارتحلت إلى الدولة العثمانية، وأقامت في العاصمة اسطنبول بين سنتي 1716 و1718م، وخلال هذه الفترة دوّنت مشاهداتها في 52 رسالة، تناولت فيها تفاصيل مشوقة عن المجتمع العثماني وتمكنت بفضل كونها امرأة من دخول الأماكن الخاصة لتجمع النساء، وبذلك شكلت رسائلها مصدراً أولياً مهماً لفهم المجتمع الاسطنبولي، بطريقة موضوعية صحّحت من خلالها كثيراً من الصور النمطية التي رسّخها بعض الرحّالة الأوروبيون أمثال السير بول ريكوت.

وعليه تهدف هذه الدراسة إلى اكتشاف أوضاع المجتمع الاسطنبولي في القرن 18م، من خلال رسائل الرحالة الليدي - التي تعد أول امرأة أوروبية تقريباً تزور العالم العثماني - وحاولت أنّ تسرد مشاهداتها بقدر من الموضوعية بعيداً عن الصورة النمطية المتحيزة التي حاول العديد من الرحالة الأوروبيين نقلها في كتاباتهم. وبذلك يتسنى للقراء اكتشاف التغيّرات التي طرأت على نمط حياة العثمانيين بعد تاريخ كتابة رسائل مونتاغيو.

بناءً على ما تقدم ذكره؛ تتمحور إشكالية البحث حول: دراسة انطباعات الليدي ماري عن المجتمع الاسطنبولي، ودورها في تغيير صورة الدولة العثمانية في المخيال الأوروبي. ولا بد من طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية للإجابة عن الإشكالية الرئيسية: ما هي دوافع رحلة الليدي ماري إلى الدولة العثمانية؟ كيف صورت رسائلها واقع المجتمع الاسطنبولي؟ وهل فعلاً اتسمت بالموضوعية مقارنة بغيرها من كتب الرحالة الأوروبيين المتحيزة؟

وقد تم الاستناد على فرضية أنّ رسائل الليدي ماري تعد مصدراً هاماً، بحيث قدمت وصفاً حياً ودقيقاً لتفاصيل الحياة اليومية في المجتمع الاسطنبولي بطريقة موضوعية، وبذلك خالفت العديد من الكتابات الأجنبية التي ادعت أنّ الدولة العثمانية، دولة الاستبداد الشرقي ويعيث مجتمعتها فساداً وظلماً.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة سابقاً، تم اتباع الخطة التالية: مقدمة ضمت تعريفاً بالموضوع، أتبع بخمس عناصر أساسية، جاء في أولها تعريف بشخصية الليدي ماري، ومن بعده الحديث عن رسائلها، ثم انتقل النقاش إلى دوافع رحلتها إلى الدولة العثمانية. ليتم التطرق إلى تصوير الليدي ماري لمدينة إسطنبول وملامح المجتمع الاسطنبولي، وأخيراً خاتمة ضمت أهم الاستنتاجات بعد التطرق إلى مختلف الدراسات التي عالجت الموضوع.

1. التعريف بالليدي ماري وورثلي مونتاغيو (1689-1762م):

تعد الليدي ماري وورثلي مونتاغيو إحدى أبرز الأسماء النسوية في إنجلترا خلال القرن 18م. عُرفت قبل زواجها باسم بيريبونت Pierrepont وُلدت في مقاطعة نوتنغهامشير عام 1689م، وكانت عائلتها من جهة الأب والأم من أبرز العائلات الإنجليزية الغنية والمؤثرة من ملاك الأراضي المهيمنين منذ القرن 13م، وشملت العديد من البارونات والكونتات والدوقات الإنجليز والإيرلنديين¹ فولدها هو الكونت إيفلين دوق كينغستون، ووالدتها هي الكونتيسة الليدي ماري فيلدنغ ابنة ويليام إيرل دينبي، ما أكسب ماري لقب الليدي منذ صغرها. قضت السنوات الثلاث الأولى من حياتها في بيت والدها، لكن بعد وفاة والدتها سنة 1692م تكفلت جدتها إليزابيث بيريبونت - من جهة الأب - بتربيتها².

ومنذ نعومة أظافرها، ظهرت على الليدي ماري بوارد النبوغ. الأمر الذي حث والدها على تزويدها بالتعليم الكلاسيكي كغيرها من بنات الطبقة الأرستقراطية الإنجليزية، فقامت مربيتها بتعليمها الكتابة بخط واضح ومنظم، كما برعت في فنون الخياطة والرسم، ودرست اليونانية واللاتينية والفرنسية والإيطالية على أيدي نخبة من أمهر المعلمين، وكانت تقرأ بشغف الشعر الإنجليزي والفرنسي، إضافةً إلى

المسرحيات والروايات. ولما بلغت مستوى مميز في تحصيلها العلمي، تولّى الأسقف بورنيت الإشراف على دراستها. ونظراً لمكانة والدها الاجتماعية، أُتيحت لها الفرصة لمقابلة كبار الشخصيات مثل: الدكتور صموئيل غارث، وجوزيف أديسون وغيرهم. ومنذ سن الثانية عشرة بدأت بترجمة أناشيد الشاعر الروماني أوفيد، وبحلول سن الحادية والعشرين قامت بترجمة كتاب إنخريدون لإبيكتيتوس وتنقيحه، الأمر الذي يدل على نبوغها وتميّزها العلمي³.

وفي 12 أوت 1712م تزوجت من اللورد إدوارد وورثلي مونتاغيو، الذي شغل عدة وظائف سياسية في البرلمان الإنجليزي، من بينها سفير لدى الباب العالي⁴ بين سنتي 1716 - 1718م، وقد رافقته الليدي ماري في رحلة دامت لمدة أربعة عشر شهراً، وبعد عودتها إلى إنجلترا أصبحت إحدى الشخصيات البارزة في المجتمع اللندني، وفي 1739م غادرت متجهة إلى البندقية وكوّست نفسها لإنتاج أدبي أكثر غزارة، وزارت في طريقها عدة مدن فرنسية وإيطالية، وعادت إلى لندن في أوائل 1762م، أين عاجلتها المنية في 21 أوت من نفس السنة⁵. تاركَةً وراءها العديد من القصائد والمؤلفات أبرزها: Turkish Embassy Letters, The works of the Right Honourable Lady Mary Wortley Montagu: Essays and Town Eclogues, including her correspondence, poems, and essays Sketches وغيرها، ورغم مكانتها الأدبية البارزة في الوسط الإنجليزي، إلا أنها اختارت نشر القليل من أعمالها سرّاً أثناء حياتها، حفاظاً على حرّيتها وإبداعها بعيداً عن أعين المجتمع⁶.

2. رسائل الليدي ماري وورثلي مونتاغيو:

يُعد أدب المراسلات أو الرسائل أحد الفنون الثرية البارزة الذي عُرف منذ القدم، فكثيراً ما تم تشكيل دواوين خاصة به، وقد تميزت بداية العصور الحديثة في أوروبا الغربية، بانتشار كتابة الرسائل التي عُرفت بالجمهورية الأدبية Respublica literaria وارتبطت مباشرةً بعصر التنوير في القرنين 17 و18م. وهذه الرسائل لا تقتصر على تسجيل المعلومات التاريخية والأدبية، بل تتناول كذلك العلاقات الاجتماعية والعواطف وأدب الرحلة بأسلوب قد لا توفره مصادر أخرى، وتنوّعت بين مقالات ويوميات وروايات، وجرت صياغتها بعدة لغات. وقد برزت الليدي ماري كمتقنة الإنجليزية كتبت العديد من الرسائل باللغة الإنجليزية والإيطالية والفرنسية، وتُعد رسائلها المعنونة بـ Turkish Embassy Letters رسائل من تركي

(1716-1718) واحدة من أكثر الأعمال شهرةً في العصور الحديثة؛ إذ لم تكتف بالحديث عن تجربتها في الترحال من منظور امرأة، بل قدمت دراسة أنثروبولوجية - اجتماعية لواقع الدولة العثمانية، والأماكن الأخرى التي ارتحلت إليها، وتشير مقارنتها وملاحظاتها إلى أنها لم تكن منتبهة فقط للاختلاف الثقافي بين إنجلترا والدولة العثمانية، بل كانت قادرة أيضاً على تقديم تفسيرات للظواهر التي اختبرتها في السفارة.⁷

وتجدر الإشارة بأن تداول الرسائل آنذاك كان شائعاً في الوسط الاجتماعي الإنجليزي ولكن دون أن تُنشر⁸، وعندما ظهرت رسائل الليدي ماري للعلن شكك الكثيرون في مدى أصالتها، وإمكانية حصولها على المعلومات التي قدّمها عن داخل الحرمك السلطاني⁹. وهو عالم مغلق تماماً على الرجال الأجانب، ما منحها فرصة كبيرة لملاحظة الأمور عن كثب وتصحيح أخطاء من سبقوها، واكتساب معلومات قيمة جداً¹⁰، فكتبت إلى شقيقتها الكونتيسة دي مار عن نظام المنزل في قصر السفارة الذي تعيش فيه، وأخبار عائلتها وخبرتها في البيوت العثمانية، في حين كتبت إلى أميرة ويلز عن الصعوبات التي واجهتها في الطريق، كما قدمت وصفاً إلى زوجات معارفها عن الحمامات، مجوهرات النساء، الأسواق وغيرها. بينما كتبت إلى الأب كونتي عن عادات الأتراك العثمانيين وشؤونهم السياسية والدينية، أما الشاعر ألكسندر بوب فحدثته عن الشعر والارتباط الوثيق مع بين الطبيعة وسكان الريف¹¹.

وفي الفترات المتأخرة من حياة السيدة ماري، قضت وقت فراغها في جمع رسائلها، ثم قامت بنسخها بنفسها في مجلدين صغيرين وعند عودتها الأخيرة إلى إنجلترا أهدت المجلدين إلى قس روتردام بنجامين سوداين، وكتبت ما يلي على غلاف أحدهما: "...هذان المجلدان قد أُعطيَا للقس المحترم بنجامين سوداين، راعي كنيسة روتردام، وله أن يتصرف بهما كما يشاء، هذه هي وصية ورغبة م. وورتلي مونتاغو 11 ديسمبر 1761م...". وبعد وفاتها عرض السيد إيرل بيوت على القس مكافأة مالية سخية مقابل الحصول على المجلدين فقبل بها، ونظراً لأهميتها تم إصدار ثلاث مجلدات من رسائل الليدي ماري من قبل بيكيت، ولاقت انتشاراً واسعاً في الوسط الإنجليزي¹².

خاصةً وأنها قامت برحلة لم تقم بها أي امرأة إنجليزية قبلها وكانت مدركة بأنها تختلف عن الرحالة السابقين وبهذا الوعي كتبت رسائلها، وعبرت عنه بقولها: "...لا بد أنكم تأملون أن تجدوا شيئاً غاية في الإثارة في رسالة يكتبها إنسان من بلاد لم يجرؤ أي مسيحي على زيارتها منذ قرون عديدة...". فضلاً

عنّ أنها قدّمت وصفاً مباشراً لأحوال المجتمع الاسطنبولي، وبشكل خاص عن حياة النساء. وسرعانّ ما تُرجمت رسائلها إلى العديد من اللغات بما فيها التركية¹³. وكانت متداولةً بشكل رئيسي في نسخ مخطوطة، ورغم ذلك لم تُنشر المجموعة الكاملة لرسائل ليدي ماري إلا في عام 1763م، لتتوالى بعدها عدة طبعات، ولعلّ أبرزها طبعة هالسباند التي صدرت بين عامي 1965 و1967م¹⁴.

3. دوافع رحلة الليدي ماري إلى الدولة العثمانية:

لقد شكلت فتوحات الدولة العثمانية، واتساع رقعتها الجغرافية واقتربها من العمق الأوروبي وتعاظم ثقلها السياسي، بدايةً لنشوء علاقاتها مع العالم الخارجي، لاسيما الدول الأوروبية التي بدأت ترى في اسطنبول قوة لا يمكن تجاهلها وخطر يهدد مصالحها وغالباً لم يكن الاحتكاك الأوروبي بالعثمانيين ودياً في بداياته؛ إذ كانّ مشحوناً بروح عدائية تجاه القوة الصاعدة التي بدأت تتوغل في العمق الأوروبي ما جعل التصدي لها مسألة قومية مصيرية، وبتحريض من الكنيسة الكاثوليكية ممثلة في البابا¹⁵. ويُعد فتح القسطنطينية عام 1453م معلماً تاريخياً هاماً لكلا الطرفين؛ إذ يدل على بروز القوة العثمانية في الشرق وأوروبا الغربية في الجهة المقابلة، الأمر الذي جعل الأوروبيين يسعون إلى تقصي أحوال الشرق¹⁶، وحسب دراسة جون ماري كاريه فإنّ معاملة توضحت للأوروبيين خاصة الفرنسيين والإنجليز في القرن 17م، وذلك بفضل العلاقات التجارية والسياسية والبعثات الدينية والدراسات التاريخية والجغرافية¹⁷.

بالمقابل وجد الانجليز في نظام الامتيازات الفرصة السانحة لسيط نفوذهم في الدولة العثمانية، وفي سنة 1580م قامت هذه الأخيرة بمنح عدة امتيازات لإنجلترا، ما أدى إلى تنامي قوتها ومركزها الدوليين، فقامت باستغلال تدهور العلاقات بين دول أوروبا الغربية والعثمانيين بعد محاولة حصار فيينا الثاني سنة 1683م والسعي إلى عقد الصلح بينهما، وبذلك فتحت الدولة العثمانية الأبواب على مصراعها لتغلغل النفوذ الإنجليزي في الميادين الاقتصادية والسياسية¹⁸. وخلال القرن 18م ازداد الاهتمام الإنجليزي بالمشاكل العثمانية، لذلك قامت في 05 جوان 1716م بتعيين اللورد إدوارد وورتلي مونتاغيو سفيراً لدى إسطنبول، مكلفاً بالتفاوض من أجل السلام بينها والنمسا وكانت فرصة مناسبة لليدي ماري للهروب من هوم إنجلترا

وإعادة اكتشاف نفسها من جديد، ويُقال إنَّها كانت السبَّاقة من بين النساء الإنجليزيات في إظهار الفضول والشجاعة لزيارة الشرق¹⁹.

وصل الوفد الإنجليزي إلى إسطنبول في ماي 1717م وغادر في 6 جوان 1718م، وأثناء رحلتها زارت العديد من المدن أهمها: روتردام، لاهاي، نورمبرغ، فيينا، براغ وهانوفر، ثم سلكت طريق بيتروفارادين - بلغراد - أدرنة حتى وصلت إسطنبول، وما إنَّ تم ذلك أرسلت أول رسالة تتحدث فيها عن الأتراك العثمانيين إلى الشاعر ألكسندر بوب بتاريخ 12 فيفري 1717م²⁰، وقد تزامنت فترة مكوثها في الأراضي العثمانية، حكم السلطان أحمد الثالث (1703-1730م)، وكانت الدولة العثمانية آنذاك على مشارف بداية ما عصر التوليب (1718-1730م)²¹، وقد تميَّز البلاط العثماني بانفتاحه على الغرب الأوروبي، وتبني أسلوب حياة جديد يرمز إلى تشييد القصور والمباني الأرستقراطية على ضفاف مرمرية وإنشاء الحدائق على النمط الفرنسي وتنظيم الأعياد والأفراح وجلب الفنانين الأجانب وغيرها من مظاهر الحياة المترفة التي تحاكي المدنية الأوروبية²².

وسرعان ما بدأت الليدي ماري في تعلم اللغة التركية وحققت تقدماً ملحوظاً، ما يدل على قدرتها الكبيرة على البحث والتعلم، كما دونت سلسلة من الرسائل التي ضمت تجاربها وانطباعاتها عن الثقافة والمجتمع العثماني. ولا بد أنَّها شعرت بخيبة أمل بسبب المعلومات الكاذبة التي أدلى بها بعض الرحالة الأوروبيين، فقد كانت تعرف أنَّ المسيحي لم يكن يُسمح له بدخول الحرمك وحتى منازل عموم الناس، لأنَّ أماكن تواجد النساء محرَّمة. لذلك كانت كتابات عصرها عن الحريم مجرد قصص مختلفة، لأنَّ هؤلاء الكتاب لم يكونوا يعرفون أيَّ شيء عن حياة النساء العثمانيات، وبما أنَّ الأمر كذلك رأت أنه من واجبها أنَّ تخبر أصدقاءها بالحقيقة، وعبرت عن ذلك بقولها: "... قصدي أن أبين لكم بعين نسوية ناقدة أنَّ كثيراً مما قالوه كان خطأ..."²³.

ولا شك أنَّ كون الليدي ماري سيدة راقية من إنجلترا وزوجة سفير من بلاط سانت جيمس، لعب دوراً كبيراً في ذلك، فمعظم الرحالة الأوروبيين من الرجال كانوا يكتفون بالنظر إلى المباني من الخارج لعدم تمكنهم من دخولها، فيحكمون أنَّها كثيفة وأنَّ النساء يعشنَّ في الأسر، وشرحت هذا في رسالتها المؤرخة 01 أوت 1718م: "... لعلكم تندهشون؛ إذ ترون أنَّ ما رأيته يختلف تماماً عمَّا كتبه أولئك الرحالة

الذين لا يستطيعون منع أنفسهم عن الحديث عما يجهلونه... غير أنّ رجالاً مسيحياً - ما لم يكن ذا شأن عظيم أو يحظى بفرصة استثنائية - لا يمكنه دخول بيت أحد من عليّة القوم في تركيا، ولا سيما الحرم فإنه ممنوع منعاً باتاً... ولهذا لا يصف الرحالة إلاّ الواجهات الخارجية غير الباهرة غالباً...²⁴. بينما هيّ تمكنت من زيارة زوجات عدد من كبار المسؤولين، وجلست مع السيدات لتناول القهوة، ودخلت إلى الحمامات التي كانت مليئة بتفاصيل مثيرة لم يلاحظها غيرها من الرحالة. والملاحظ أنّها أحببت الثقافة الإسلامية، ودرست اللغات الشرقية وجمعت التحف الثقافية، وبحثت في مسألة التلقيح ضد الجدري وقامت بتطعيم أطفالها أثناء وجودها في إسطنبول، وبذلك تُعتبر رسائلها مصدراً موثقاً فيما يخص قضايا وأسرار المجتمع الاسطنبولي²⁵.

4. مدينة إسطنبول في عيون الرحالة ماري وورتلي مونتاغيو:

تعد مدينة القسطنطينية واحدة من أشهر المدن في العالم وأعرقها عبر التاريخ، فقد كانت عاصمة للإمبراطورية البيزنطية المسيحية على مدار أحد عشر قرن بالتقريب، وعاصمة الدولة العثمانية الإسلامية لما يُقارب الخمسة قرون وعبر تاريخها حملت عدة تسميات منها: ميكلالاغارد أو ميكل غارث Myklagaard or Micklegarth وتعني البرج العظيم وبيزنطة وقسطنطينوبولس Constantinopolis وتعني مدينة قسطنطين الذي أنشأها وجعلها عاصمة لإمبراطوريته الجديدة سنة 331م. أما عند العرب فقد سُميت بأسماء متنوعة كإسلامبول، إستنبول، الآستانة غير أنّ الاسم الأكثر شيوعاً في المؤلفات العربية القديمة كان القسطنطينية وحالياً تعرف بإسطنبول²⁶.

قُسمت مدينة إسطنبول إلى أربع وحدات إدارية، وهي: إسطنبول الرئيسية والمدن الثلاث: غلطة، أيوب سلطان وإسكودار. أما إسطنبول الرئيسية فهي المدينة المثلثة القديمة القسطنطينية التي بُنيت على مجموعة من التلال، يحدها القرن الذهبي وبحر مرمرة والأسوار البرية العظيمة. وعند قاعدة المثلث بدءاً بنقطة سيراغليو يقع قصر توب كابي بمبانيه ومصالحه الواسعة، وفي الحرم الخارجي عبر الباب السلطاني يقع آق ميدان مع جامع آيا صوفيا، ومن ثم كانت الطريق تتجه نحو قمة التل الثالث أيّ مركز المدينة القديم؛ حيث يوجد القصر القديم للسلطان محمد الفاتح (1451-1481م) وجامع بايزيد بالقرب من مدخل السوق

المسقوف Le grand Bazar، بالإضافة إلى مباني السلطان سليمان القانوني (1520-1566م)، وعلى الشاطئ المواجه للقرن الذهبي تقع غلطة التي كانت في العهد البيزنطي مستعمرة التجار البيزنطيين والجنوبيين²⁷.

ومع ذلك؛ كان انطباع بعض الرحالة الأجانب عن المدينة عداًئياً، فعلى سبيل المثال جاء في رواية The Strange Adventures of the Count de Vinevil and his Family للكاتب الإنجليزية أوبين بيلينوب (1679-1738م) أنّ Count De Vinevil الكونت لونغفيل زار القسطنطينية، ووصفها بما يلي: "... إنها بلد غريب؛ حيث لم يعد بإمكاننا رؤية الكنائس، وبذلك لا تتألق الديانة المسيحية، ولا يُعبد الله بتناغم...". ويرى بأنّ الأتراك قوم متوحشون وبلا رحمة وهم أقوىاء بسلطة العبيد²⁸، في حين أظهرت الليدي ماري اعجاباً ملحوظاً بإسطنبول وبدت لها أكبر من لندن، وفي رسالتها إلى الكونتيسة بريستول في 10 أبريل 1718م ذكرت بأنّ بيراً وتوبخاناً وغلطة شكلت معاً مشهداً غاية في الجمال والأبهة، وأضافت بأنّ متعة الإبحار في نهر التايغر على متن قارب في تشيلسي لا تُقارن إطلاقاً بروعة التجديف في البوسفور؛ حيث يتجلى سحر الطبيعة على مدى عشرين ميلاً. هذا ويقع الجانب الأوروبي من إسطنبول فوق سبع تلال؛ حيث تتداخل البساتين وأشجار الصنوبر والسرو والقصور والمساجد والمباني في مزيج متناغم. وترتفع هذه العناصر فوق بعضها بشكل يمنح مظهرًا جذاباً كأنّ أمهر الأيدي الأوروبية قد زينتته، وفي إحدى رسائلها تقول بأنّ الأتراك العثمانيين يملكون أجمل المناظر في آسيا وأوروبا مجتمعين ولا شيء يمكن أن يبعث على الرضا أكثر من البوسفور. وفي رسالتها إلى الأب كونتي في 29 ماي 1717م، أشارت بأنّ القصر الذي تقيم فيه يقع في بيراً، وهي من أرقى ضواحي إسطنبول تماماً مثل وستمنستر في لندن، فغالبية السفراء يقيمون قريباً من بعضهم البعض، وهناك جزء من منزلها يسمح برؤية الميناء والمدينة وسراي السلطان وتلال آسيا البعيدة، ويعد ذلك من أجمل المناظر في العالم²⁹.

تأثرت الليدي ماري بأدرنة، وفي رسالتها إلى أميرة ويلز في 01 أبريل 1717م، صرّحت بأنّ كل ما رآته حتى ذلك الوقت كان جديداً تماماً بالنسبة لها، مما يوحي بأنها فُتنت بلقاء عالم مختلف عما اعتادت عليه. وعندما وصلت إلى صوفيا رأت أنه من الصعب أن تجد منظرًا أجمل من هناك، وعبرت عن ذلك بقولها: "... بعد رحلة أربعة أيام عبر الجبال وصلنا إلى صوفيا التي تقع على سهل فسيح على نهر

إيسكا، وتحيط بها الجبال من بعيد... ومن الصعب أن يصف الانسان منظرًا بهذا الجمال ... أما المدينة نفسها فهي كبيرة جدا وآهلة بالسكان، وتوجد بها الحمامات الساخنة، وهي ذات شهرة واسعة بسبب فوائدها الصحية..."، وفي النهاية حكمت بأن المنطقة الممتدة من صوفيا إلى أدنة هي من أجمل بقاع الدنيا، ويبدو أنها لم تستثن إنجلترا من هذا الحكم، لكن الشيء الوحيد الذي لا يمكن تفضيله عليها هو المناخ، وحسب رأيها فإنّ مناخ إنجلترا أفضل بكثير، فأدنة جميلة لكن مناخها سيئ للغاية، أما شوارعها ومتاجرها فهي أكثر نظافة من لندن³⁰.

وفي نفس السياق؛ وصفت منطقة تشيشول الواقعة جنوب نهر الدانوب في مقاطعة ميزيا، بالفريدة من نوعها عالميًا من ناحية خصوبة أراضيها وتنوع تضاريسها بين المرتفعات والمنخفضات وجمال مناظرها، ووفرة مواردها من الخشب والماء. وفي موضع مقارنة بين إسطنبول ولندن، كانت هذه الأخيرة بالنسبة لليدي ماري مدينة مزعجة ملعونة، وأقرت بأنّ الانسجام الروحي قد غادرها كما لو أنّ الشيطان فعل ذلك، ومن المحتمل أنّ أحد أسباب كرهها لها هو كثرة البائسين؛ فأشارت بأنّ العجزة المثيرين للاشمئزاز والمتسكعين الذين يختارون القذارة والكسل منتشرون بكثرة في أنحاء لندن، فضلاً عن غلاء المعيشة ما اضطرها إلى الفرار منها عند أول فرصة. وبعد عودتها إليها بعد رحلة طويلة ذكرت بأنّ شوارع المدينة تغيّرت تماماً مثل سكانها وأصبحت تبدو كأى مدينة أجنبية³¹.

كما عبرت الليدي ماري عن إعجابها بالقصور العثمانية خاصةً المبنية من الأخشاب، والغرف الكبيرة المشيدة بالرخام والمرصعة بالذهب والكريستال المجلوب خصيصاً من إنجلترا والمزينة بالخزف الياباني وأروع الرسوم والنقوش هي التي على شكل فواكه وزهور ولا يفوتها وصف الحقائق والنوافير التي تعكس كل مظاهر الفخامة والأبهة والتميز الذي شهته العمارة العثمانية آنذاك، وهذا ما عبرت عنه في رسالتها إلى الأب كونتي في 19 ماي 1718م، بقولها: "... وهكذا ترى يا سيدي أنّ هؤلاء القوم ليسوا على درجة قليلة من الثقافة والرقى كما تم تصويرهم، حقا إنّ ذوقهم يختلف عن ذوقنا وربما يفوقه، وفي رأيي الشخصي أنهم يمتلكون حساً مرهفاً للحياة، ويتضح ذلك في موسيقاهم وحدائقهم وكرمهم

وأطعمتهم الشهية، بينما نحن نعذب عقولنا بالخطط السياسية أو دراسة علوم لن نستطيع بلوغها
اطلاقاً...³².

كما أبدت إعجابها بنظافة الشوارع الاسطنبولية والأسواق التي بُنيت على مبان فخمة مليئة
بالممرات الكبيرة الجميلة المدعمة بالأعمدة وكل السلع التجارية لها ممر خاص بها والتجار يعرضون بضاعتهم
بنفس طريقة نيو ماركت في لندن، كما لاحظت وجود العديد من البنايات العامة الأخرى كالحانات
وتكايا الدراويش، وعندما همت بمغادرة إسطنبول، عبرت عن أسفها الشديد لذلك في رسالة لصديقتها
مؤرخة يوم 10 أبريل 1718م، بقولها: "...أستعد الآن لمغادرة القسطنطينية، وقد تهميني بالرياء
والنفاق عندما أقول لك إنني أشعر بالأسف لمغادرتي إياها، وقد اعتدت عليها وأتقنت لغتها وأشعر
بالراحة فيها ... وأسعد نفسي بكل ما هو غريب فيها..."³³.

5. تصوير الليدي ماري لملامح المجتمع الاسطنبولي:

ينقسم المجتمع العثماني إلى فئتين يشكّلان القاعدة الأساسية للنظام والسلم. وتُعرف الأولى باسم
عسكري وهي تضم النخبة الحاكمة وفي مقدمتها السلطان، وكبار الموظفين الذين تم منحهم صلاحيات
دينية وإدارية واسعة، ومهمتها تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية والقوانين العرفية وضمان سيادة الأهالي.
بينما يُشكّل الرعايا المحكومين الفئة الثانية، وهم يتكونون من جماعات ذات أديان وأعراق مختلفة، ورُغم
عدم السماح لهم بالمشاركة في شؤون الحكم إلا أنهم كانوا يقدمون الدعم المعنوي والمادي للحكم من
خلال الإنتاج وتأدية الضرائب³⁴.

1.5. صورة الرجل العثماني في رسائل مونتاغيو:

أشارت الليدي ماري بأن ما كتبته عن عالم الرجال في الدولة العثمانية محدود للغاية، وذلك لأنها
كامرأة لم تكن قادرة على دخول فضاءات الرجال مثل المقاهي والحمامات أو المشاركة في مجالسهم وهو ما
جعل اطلاعها على حياتهم الاجتماعية محدوداً³⁵. ومع ذلك لم يدفعها هذا الأمر إلى أن تقع في فخّ ما
وقع فيه كثير من الرحالة الذين سبقوها، ممن لم يتمكنوا من دخول عالم النساء، فراحوا يقدمون تفسيرات
خيالية أو اتهامات عامة باطلة، وتعود أول المعلومات التي نقلتها عن الرجال إلى السيد أحمد بك الذي
أتاحت لها فرصة محاورته مباشرة، وهو ابن أحد الباشوات، تلقى تعليماً جيداً وكان ضليعاً في اللغة العربية

والفارسية، وبملك مكتبة غنية بأمهات الكتب وبمختلف اللغات. وقد تبادل أطراف الحديث حول مختلف المواضيع الأدبية، وتناقشا في تقاليد بلديهما لا سيما ما يتعلّق بحقوق النساء وحاول إقناعها بأنّ المرأة المسلمة تتمتع بحرية لا تقل عن حرية المرأة الإنجليزية³⁶. وقد ذكرت الليدي ماري أنه ورغم تعدد مهارات أحمد بك التي كانت تؤهله لاختيار أعلى المناصب، إلا أنه فضّل حياةً هادئةً وآمنة بدلاً من المناصب الخطرة. ولاحظت بأنّه يتميز بذكاء وذوق رفيعين لم تجدهما حتى عند العديد من النبلاء المسيحيين، أما زوجها السفير إدوارد مونتاغيو فقد أشار إلى أنّ الأتراك الذين تحدث معهم من الطبقة العليا كانوا متحضرين بقدر الأشخاص الذين قابلهم في إيطاليا³⁷.

زيادة على ذلك؛ أوردت الليدي ماري في رسائلها عدداً من الملاحظات حول سلوك الرجال العثمانيين، وقدّمت صورة متوازنة لا تخلو من المقارنات مع المجتمع الإنجليزي. فأشارت بأنّ كبار رجال الدولة يتحلّون بقدر من الوفاء والالتزام الأخلاقي، فكتبت عن أحد الصدور العظام: "... لا يقبل الهدايا رغم أنّ أسلافه كانوا يتبعون سلوكاً مختلفاً تماماً...". ومن خلال ذلك يُلاحظ أنّها سعّت إلى تفنيد الصور النمطية التي أشاعها الرحالة الأوروبيون عن الرجال العثمانيين، تماماً كما فعلت في دفاعها عن المرأة. فهي ترى أنّ كثيراً من الرحالة لم يختلطوا بالرجال أصلاً، وبالتالي بُنيت أحكامهم على تصوّرات مسبقة أكثر من كونها ملاحظات واقعية³⁸.

وفي هذا الصدد؛ ذكر المؤرخ والدبلوماسي الإنجليزي Sir Paul Rycout السير بول ريكوت (1629-1700م) أنّ الأتراك العثمانيين جهلة وبرابرة، وحتى كبار رجال الدولة لم يسلموا من مظاهر الفساد والانحراف؛ إذ يتولّون المناصب دون اعتماد على مبدأ الكفاءة أو الخبرة، بل عن طريق الصدفة أو التملّق للسلطان، وبذلك يُرقّون إلى أرفع المناصب وأغناها دون جدارة أو استحقاق³⁹. وقد لاحظت مونتاغيو أنّ أشقى الرجال حظاً في نظر مونتاغيو هو السلطان؛ فرغم مظهره الذي يوحي بالقوة والهيبة، إلا أنه يعيش تحت وطأة تهديد دائم بالتمرد أو الاغتيال من قبل رجال الدولة وخاصةً النخبة العسكرية، فأشارت بأنّ الحكومة كلها بيد الجيش والخليفة بكل سلطاته يرتعش مثل أيّ واحد من رعاياه، إذا عبس أحد منهم في وجهه⁴⁰.

وفي نفس السياق؛ شاهدت عن كتب السلطان أحمد الثالث في موكب الجمعة، ووصفت مظهره بأنه يوحي بالصرامة⁴¹، الأمر الذي جعلها تصفه بالملك المطلق ولا يوجد قانون فوق إرادته، كما أشارت بأنه يُنعم على الرعايا بالسلطة كما لو أنهم أبناءه فسعادة السلطان مرتبطة بمدى حريتهم. ومع ذلك عرضت بعض السلوكيات السلبية لرجال الدولة، فلم تتغاضى عن مشاهد الظلم التي تعرض لها الفلاحين الفقراء في صربيا من قبل جنود الإنكشارية رغم أنّ الدين الإسلامي يحظر الهمجية، وربما هذا ما دفع بعض الأوروبيين بنعت الدولة العثمانية بدولة الاستبداد الشرقية، ونظرًا لأنها لم تبقى فترة طويلة في الأراضي العثمانية لم تتح لها الفرصة للغوص بعمق في بعض القضايا⁴².

2.5. السمات الاجتماعية للمرأة العثمانية وحريتها:

لطالما حظيت المرأة والمسائل المتعلقة بها باهتمام العديد من الرحالة والدبلوماسيين الإنجليز في القرنين 17 و18م أمثال السير بول ريكوت وإليزابيث كرافن (1750-1828م)، ولكن الليدي ماري تصدرت المشهد من حيث سردها للتفاصيل ودقة الملاحظة والانطباع الخالي من التحيز، لأنها تمكنت من دخول عالم النساء، وتوصلت إلى ملاحظات واكتشافات تختلف كثيرًا عن تلك التي كتبها الأوروبيون من قبل ما جعلها تسخر من الأخطاء التي وقعوا فيها، وهي توضّح ذلك بقولها: "... إنه لمن دواعي سروري الخاصة هنا أنّ أقرأ الرحلات إلى المشرق، والتي غالبًا ما تكون بعيدة عن الحقيقة ومليئة بالسخافات، مما يثير تسلّتي كثيرًا، فهم لا يفسلون أبدًا في إعطائكم أوصافًا عن النساء، اللواتي من المؤكد أنهم لم يروهن أبدًا..."⁴³.

فمثلاً ذكر السير ريكوت تفاصيل ملفقة عن المؤامرات التي كانت تُحاك في الحرمك أيام السلطنة كوسيم، وقد وصفها بالملكة العجوز التي استغلت صغر سن حفيدها السلطان محمد الرابع (1648-1687م)، وراحت تتحكم في شؤون الحكم وفق ما يحلو لها، ولتتمكن من ذلك قامت بتكوين فصيل خاص بها يضم كبار رجال الدولة لينفذوا أوامرها⁴⁴ ولكن كيف له أن يحيط بهذه المعطيات إذا كان دخول الحرمك محرماً على الرجال مهما كانت مكانتهم السياسية أو الاجتماعية؟ فتقاليده ونظام إدارته تحفظ للمكان خصوصيته وأسراره، وتجعل من المستحيل الوقوف على ما يدور بداخله، فجدرانه السمكية والعالية

تجعل منه أشبه بالمدينة الخاصة، ونظام حراسته الدقيق يجعل من المستحيل لأحد من الخارج الدخول إليه أو زيارته حتى ولو كان من النساء مع وجود بعض الاستثناءات⁴⁵.

ويضيف ريكوت بأسلوب متحيّز بأن النساء العثمانيات يعشنّ في عزلة اجتماعية خاصة عن العالم الذكوري، ويفتقدن للأخلاق والتربية السوية، وهنّ خاضعات لأزواجهنّ ولا يملكن أي وسيلة للانفصال ما دام الزوج يؤمن لهنّ الخبز والزبدة والأرز والخشب والكتان ليغزلن ثيابهن بأنفسهن⁴⁶. وهذا ما فندته الليدي ماري التي أكدت بأن حياة العثمانيات كانت مليئة بالحرية، وهي في ذلك تتفق مع إليزابيث كرافن التي أشارت بأنهنّ يتمتعن بحرية واسعة مقارنة بنظيراتهن الأوروبيات. فكنّ يقضين معظم أوقاثن في الحمامات والتنزه والتسوق أو الاستمتاع بوسائل الترفيه ومواكبة آخر صحبات الموضة، وفي إدارة شؤون البيت كان الإنفاق يتم وفق رغباتها، وحتى نساء الطبقة الفقيرة كنّ يرتدين الملابس المزخرفة ويمتلكن حلياً من الألماس. وجاء في رسالة مونتاغيو إلى الكونتيسة مار في 01 أفريل 1717م بأن السيدات امتلكن حرية الابتكار في زينتهنّ، فبعضهنّ وضعن الزهور وأخريات ريش طائر مالك الحزين، ولكن الأكثر انتشاراً هو باقة الجواهر التي تشبه الأزهار الحقيقية مثل براعم اللؤلؤ، الورود من الياقوت، الياسمين من الألماس، النرجس من أحجار التوباز وغيرها من الأحجار الكريمة المرصعة، ويصعّب عليها في أحيان كثيرة وصف جمال شعر التركيات الذي ينساب بطوله على الظهر في جدائل رفيعة مجدولة باللؤلؤ أو الأشرطة الملونة. وأكدت بأن الحرملك ليس سجنًا كما صوّرت الأدبيات الأوروبية بل فضاء اجتماعي وثقافي تتمتع فيه النساء بحياة دينية خاصة وثقافة ترفيهية غنية. وهو كبناء لا يُرى من الشارع وما يُرى فقط هو الحقائق وبوصفها امرأة حظيت مونتاغيو بفرصة دخول أماكن تعذّر على الرجال الوصول إليها، فقابلت زوجة السلطان مصطفى الثاني (1695-1703م) السلطانة حفصة، ووصفتها بأنها غاية في اللطف والجمال، وسيدات أخريات من عليّة القوم، جلست معهن في منازلهن⁴⁷.

أبدت الليدي ماري استغرابها من طقوس الزواج عند العثمانيين، فعادةً يتقدمون لخطبة الفتاة وهيّ في سن صغيرة جداً، وعند الزواج لا يرى العريس عروسه إلا بعد ثلاثة أيام من عقد القران، وفيما يُخُص العلاقة بينهما فقد شاركت ملاحظة مثيرة للغاية، فالزوج الذي يحاول إجبار زوجته على إعطائه المال

بالقوة يُعتبر مجنوناً، بينما تتصرف الزوجة بحرية في الإنفاق، فالمال الذي يكسبه الزوج مخصص لها وحدها. وعبرت عن ذلك بقولها: "... وقد يظن البعض أنّ رجالهنّ مجانيين؛ إذ يدعوهم ينفقن بهذا البذخ الذي لا يحده إلا ما تراه هي نفسها..."، واستخدمت مثالا تصويرياً لتوضح أنه حتى الرجل الفقير الذي يعمل تاجرًا بسيطاً ويبيع المناديل قد يُؤبّخ إذا لم تمتلك زوجته فراءً ثميناً ومجوهرات ذهبية. ومن المحتمل أنّ تكون هذه المبالغة لتعكس الراحة والحرية التي تتمتع بها النساء مقارنة بأزواجهن⁴⁸.

وفي نفس السياق؛ أشار ريكوت بأنّ تعدد الزوجات مُباح عند العثمانيين إلى أربع نساء، ولكنه قد يؤدي إلى بعض السلوكيات السلبية مثل: لجوء الزوجات إلى السحر والشعوذة، والغيرة واختلاق المشاكل الأسرية، ما جعل غالبية الرجال يفضلون الاكتفاء بزوجة واحدة طلباً للراحة والسكينة⁴⁹. وقد لاحظت الليدي ماري أنّ الزوجة المثالية، يجب أنّ تكون مطيعة ومحبة لزوجها، ووجب أنّ تكون سمة دائمة لدى الزوجة والبنات، كجزء من النظام الاجتماعي والأخلاقي في المجتمع، ولم يكن يُسمح للزوج بالنظر إلى الجوّاري حتى لا يثير رغبة زوجته أو غيرها. وذكرت بأنّ النساء يخشين الموت بعد الزواج مباشرة إذا لم ينجبن، ولكنها ملاحظة مبالغ فيها بُنيت على تجارب محدودة مع بعض النساء ولا يصحّ تعميمها⁵⁰. وأشارت بأنّ الأمهات يواصلن حياتهن الاجتماعية بعد الولادة مباشرة تقريباً، على خلاف العادة الإنجليزية؛ حيث تنعزل المرأة عن المجتمع لفترة بعد الولادة، وتشير الدراسات بأنّ مونتاغيو نفسها تبنت هذا النمط بعد إنجاب طفلها الثاني في إسطنبول⁵¹.

لقد أمضت الليدي ماري معظم أيامها في إسطنبول وضواحيها، وبذلك حظيت بفرصة ملاحظة النساء عن قرب، وقد تأثرت كثيراً بجمالهنّ، وهو ما عبرت عنه في رسالة بتاريخ 01 أفريل 1717م تقول: "... لم أرَ في حياتي شعراً بهذه الروعة، ويجب الاعتراف بأنّ كل أشكال الجمال هنا أكثر شيوعاً مما هي عندنا، من المدهش أن ترى شابة ليست جميلة جداً إنّهم يمتلكون بشكل طبيعي أجمل بشرة في العالم، وعادةً ما تكون عيونهنّ سوداء كبيرة..."⁵². وحسب رأيها تبدو العثمانيات فائتات مقارنة مع نساء فيينا اللواتي وجدتهنّ قبيحات ومتعجرفات؛ كما أنّ الملابس التركية جميلة ومريحة بينما أزياء نساء فيينا مزعجة، وتكاد تكون مثيرة للسخرية⁵³. وحتى عدد الحسنات في الدولة العثمانية يفوق ما في إنجلترا، هذا وتعتبر

بشرة النساء العثمانيات ولونها أجمل ما رآته في حياتها، وتدعي بأنّ جمالهن يفوق حتى جمال نساء البلاط الملكي البريطاني⁵⁴.

وقد عبّرت الليدي ماري عنّ انبهارها بجمال السيدة فاطمة زوجة القائمقام التي تعرفت عليها عند زيارتها في مارس 1718م، وحسب رأيها كان جمالاً ساحراً إلى درجة أنه يطغى على كل شيء آخر، وقالت إنها لم ترَ جمالاً يضاهيه في إنجلترا أو ألمانيا⁵⁵. والأهم من ذلك أنّ تصرفات فاطمة وأسلوبها وذوقها ورقتها جعلت من الممكن اعتبارها من أكثر النساء تحضراً حتى في أوروبا آنذاك، وأشارت إلى أنها كانت تعاملها بأقصى درجات الأدب واللفظ، وخلال هذا اللقاء أصبحت الليدي ماري قادرة على فهم اللغة التركية ما مكنها من إدراك ذكاء فاطمة إلى جانب جمالها، ويظهر من خلال هذه الملاحظات أنّ العثمانيات لم يُحتجن خلف الأقفاص أو يُربن في جو من العزلة والجهل والحمول، بل كنّ يظهرن أدباً ونضجاً وذكاءً واهتماماً وحُباً بما يكفي لإبهار سيدة إنجليزية من النخبة⁵⁶.

وفي نفس السياق؛ أبدت إعجابها بأدب النساء وجمالهن عند زيارتها للحمام في صوفيا، فمعظمهن ذوات بشرة بيضاء بلا أية زينة، وشعر جميل يتدلّى في جدائل كثيرة مصفورة على أكتافهن ملفوفة إما باللؤلؤ أو بالأشرطة، وقد أحصت كل خصلات شعرهن الطبيعية وهي تقريبا 110 خصلة ما يدل على انبهارها الحقيقي بجمالهن؛ إذ رأت فيهنّ تحسيدا لآلهة الحسن والجمال، وذكرت بأنّهنّ يتصرفن بعفوية وأدب مع امرأة غريبة، ولم يرمقنها بنظرات الازدراء بل جميعهنّ رحبنّ بها، وهذا أمر لا تكاد تراه في المجتمع الإنجليزي الذي يحتقر الشخص الذي يرتدي لباساً لا يريدونه. وأكدت أنّ القصر الإنجليزي رغم امتلاكه أجمل النساء المسيحيات، فإنه لا يستطيع أنّ يجمع كل هذا الجمال تحت سقف واحد كما هو موجود في الدولة العثمانية. وشددت على أنّ تواجد الرجال في الحمامات قد يكون أقل خطورة من الموت، بالمقابل اعترفت أنها وقبل وصولها إلى اسطنبول كانت تحمل أحكاماً سلبية عن قبح العثمانيات وافتقادهن للباقة، وبذلك شكلت زيارتها لحمام النساء نقطة التحول؛ حيث اندهشت من جمالهن وذوقهن وأخلاقهن الرفيعة، وعبرت عن ذلك بشكل صريح في رسالتها إلى صديقته في 10 أفريل 1718م بقولها: "...صدقيني أنّ

السيدات التركيات شديداً الذكاء والكياسة، وكذلك متحررات في الفكر والثقافة مثل كثيرات من سيداتنا...⁵⁷.

أما عن اللباس، أبرزت مونتاغيو أنّ الحجاب لم يكن دليلاً على عداة الإسلام للمرأة كما تصوّره الغرب، بل وسيلة لحماية خصوصيتها، وكانت النساء يغطين الوجه والبدن باليشمق والفراء مما يمنع التعرف عليهن في الأماكن العامة⁵⁸، وأشارت بأنهن لا يخرجنّ إلى الشارع مهما كانت طبقاتها الاجتماعية دون رداءين من الموسلين أحدهما يغطي الوجه كله فلا تظهر إلا عيناها، والآخر يخفي كل الغطاء الذي تضعه على رأسها ويتدلّى إلى ظهرها، وتخفي جسدها كله بالفراجية، وبذلك لا يستطيع أحد أنّ يميز السيدة من جاريتها ومن المستحيل أنّ يتعرف الرجل على زوجته عندما يلقاها ولا يجزّو أيّ رجل على لمس أو متابعة المرأة في الشارع فقد كانوا يولونها احتراماً وتبجيلاً كبيرين، وحين يُحكم على أحد الموظفين بالإعدام لا تجرد حريمه من الامتيازات التي يتمتع بها⁵⁹.

وتذكر الليدي ماري بأنّ الحمامات كانت كأجنحة الحرمك أرضاً محرمة على الرجال الغرباء⁶⁰، وبحكم أنّها امرأة تمكنت من دخوله وتقديم أوصاف مفصلة ودقيقة عن احتفال حضرته بمناسبة زفاف إحدى الفتيات، أُقيم في أحد أفخم الحمامات الاسطنبولية، وهناك اجتمعت مع صديقات العروس وأقاربها ومعارف العائلتين بينما حضر البعض الآخر بدافع الفضول، وبلغ عددهن حوالي مائتي امرأة، وأشارت بأنّ العروس فتاة جميلة في حوالي 17 عاماً متأنقة بزينة فاخرة ومجوهرات وتنظر إلى الأرض بتواضع ساحر بينما غنّت النساء قصائد الزفاف وتحولوا على هذا النحو في ثلاث غرف من الحمام، وبعد ذلك ذهب العروس لتسلم على الحضور وتأخذ الهدايا من المتزوجات كالمجوهرات والمناشف وما شابهها وشكرتهن بمصافحة أيديهن، لقد تأثرت الليدي ماري كثيراً بالمشهد، وعززت هذه التجربة تصورها الإيجابي عن النساء مؤكدة بأنهنّ يملكن ذكاءً وحريةً ماثلة على الأقل لما بينهن، كما شاهدت عروض العزف على بعض الآلات الموسيقية ما بين الجيتار والعود المصحوب بغناء الجوّاري⁶¹.

زيادة على ذلك؛ روّت الليدي ماري قصة أسيرة إسبانية، رفضت العودة إلى وطنها خشية أنّ تُحصر في دير راهبات، فاخترت الزواج من أحد الباشوات ولم تندم على قرارها وبعد وفاته أصبحت من أغنى أرامل إسطنبول، ولأنّ فكرة بقاء الأملة عزباء لم تكن واردة في ثقافة العثمانيين أُجبرت على الزواج

من خليفة زوجها الراحل والمرجح أن القصة تتعلق ب إبراهيم باشا قائد الأسطول بين 1717-1718م، وحلّ محله سليمان باشا الإزميري. وفي الرسالة المؤرخة بتاريخ 10 أفريل 1718م إلى الكونتيسة بريستول عبرت عن تقديرها للعثمانيين فيما يخص معاملتهن للجواري بقولها: "... لا أستطيع أن أمنع نفسي من الشاء على الإنسانية التي يتعامل بها الأتراك مع هذه الجواري..."⁶². وهي تتفق في ذلك مع سفير البندقية أتفيانو بون الذي ذكر بأنه تم تربية الجواري على الأخلاق الحميدة وهنّ يحظين بعظيم التقدير عند الأتراك⁶³. ورغم أنّ الليدي ماري ذكرت العديد من الجوانب الإيجابية في حياة العثمانيات إلا أنّها تناولت بعض الجوانب السلبية بعيداً عن تصويرهنّ بصورة وردية مثالية، منها مسألة الجريمة فذكرت أنّها شهدت جريمة في مكان ليس بعيداً عن منزلها؛ حيث وُجدت جثة لامرأة شابة لقيت مصرعها على إثر طعنات سكين ولم يستطع أحد التعرف إليها وقد تم دفنها بسرية تامة، ومن ملاحظاتها أنّ النساء التركيات لا يرتكبنّ خطايا أقل من المسيحيات، لكنهنّ ينلنّ عقاباً قاسياً⁶⁴.

3.5. المطبخ العثماني:

أعجبت الليدي ماري بغنى المطبخ العثماني وتنوع أطباقه، فوصفت طريقة تقديم العشاء أثناء زيارتها للسيدة حفيظة بقولها: "...قدّمت لي عشاءً من خمسين طبقاً من اللحم ووفقاً لعاداتهم توضع على الطاولة واحداً تلو الآخر، فهي لا تُقدّم على شكل حصص كما في أوروبا..."، وأضافت: "... عندما تتذوق طبقاً عثمانياً، من الصعب جداً أن تنسى طعمه، وإذا أكلت مرتين فالأرجح أنك ستحاول طبخه بنفسك في المنزل..."⁶⁵. وما أثار إعجابها الصلصات واللحم الذي يُشوى بزيادة، ولاحظت بأنهم يضيفون لطعامهم قدراً كبيراً من التوابل، أما الحساء فيقدم في آخر الطبق، ولديهم عدد هائل من أطباق الخضروات المطهية، وآخر الشيء شرب القهوة، وقد تأسفت لعدم قدرتها على تناول كل تلك الأطباق، وأكدت بأنه لو قام شخص هندي بتناول الأطباق التركية لفضلها حتماً على الأطباق الإنجليزية⁶⁶.

4.5. عادات العثمانيين وأخلاقهم:

دوّن الرحالة انطباعاتهم عن مدى التزام العثمانيين بدينهم وشيئاً من سجايهم، فهناك من وصفهم بالبلادة والخمول، كما هو حال إليزابيث كرافن التي أبدت استغرابها من قدرة الأتراك على التجديف رغم

أنهم كسالى⁶⁷، وقد بررت الليدي ذلك بأن حرارة المناخ تدفع الناس التهرب من العمل⁶⁸، ولاحظت سمة فريدة تميزهم وهي كرم الضيافة؛ إذ يتم استقبال الضيوف وكأنهم هدية من الله، وقد حُصص في البيوت العثمانية غرف وأوانٍ وأدوات مائدة ومناشف لأجلهم⁶⁹. كما امتدحت أخلاق زوجة الصدر الأعظم في رسالتها إلى الكونتيسة مار بتاريخ 08 أبريل 1717م، قائلة: "...إنها امرأة طيبة المعشر قالت لي إنها لم تعد تنفق وقتها ومالها على المظاهر ذلك أن كل نفقاتها تروح على البر والإحسان، وكل ما يشغلها الصلاة والدعاء لله وهي وزوجها يكرسان نفسيهما للتقوى وأعمال الخير، فهو لا يرفع عينيه إلى امرأة أخرى إطلاقاً، والأكثر غرابة أنه لا يلمس أية رشوة على نقيض من سبقوه في منصبه..."⁷⁰.

ومع ذلك، أشارت بأن معظم العثمانيات يؤمنّ بالسحر والشعوذة، ويدعين بأنهنّ يمتلكن طرق جلب الزوج الصالح، في حين تلجأ النساء اللواتي تجاوزن سن الانجاب إلى الدجل ليمكنكن من ذلك، فهنّ لا يكتفين بطرق العلاج الطبيعية، وغالباً يعرضن أنفسهنّ للموت بتلك الطرق رغم أنهنّ أنجن العديد من الأبناء، فالنساء اللواتي تعرفهن ومضى على زواجهن عشر سنوات لديهن 12 أو 13 طفلاً وأما الكبيرات اللاتي تجاوزن سن الانجاب فيتباهين بأنهن أنجن 25 أو 30 طفلاً⁷¹. بالمقابل اعترفت بأنه حتى في المجتمعات الأوروبية الحديثة وُجد أناس يؤمنون بتلك الخرافات، رغم التطور الثقافي والعلمي الذي وصلت إليه، وذكرت بأنها كانت تخشى من قصص المشعوذين والسحرة، والأدهى من ذلك أنه لا يزال النبلاء الإنجليز في عصرها يتمسكون بفكرة وجود الوحوش الكاسرة⁷².

5.5. مرض الجدري وسبل الوقاية منه:

تعاقبت على الدولة العثمانية موجة من الأمراض التي خربت البلاد، ولعل أبرزها الجدري الذي يُعد من أكثر الأمراض انتقالاً للعدوى، وقد ظهر التلقيح ضده في الإيالات العثمانية منذ عام 1695م، وكان الأطباء يحصلون على اللقاح بأخذ ماء الحبوب الممتلئة بالجدري من الطفل المصاب، ثم يفتحون شقاً في ذراع الطفل السليم ويضعون فيه ذلك السائل بهذه الطريقة تمت عملية تطعيم الأطفال ضد الجدري⁷³، وحسب دراسة باتريك بيرش Patrick Berche عُرفت تلك العملية بالتجدير⁷⁴. وفي رسالتها إلى السيدة سارا شيسويل بتاريخ 01 أبريل 1717م، ذكرت الليدي ماري بأن الجدري منشئ بكثرة في أدرنة، وهو لا يؤدي بسبب وجود التطعيم⁷⁵. وبعد عودتها إلى إنجلترا أخذت على عاتقها نشر الطريقة لأنها فقدت

شقيقها بسبب الجدري سنة 1713م، وأصيب هي نفسها سنة 1715م ما أدى إلى تشوه وجهها ففقدت جمالها الذي اشتهرت به، وأثناء وجودها في إسطنبول أظهرت اهتماماً بالوقاية منه، وقررت أن تُجري عملية التجدير لابنها عام 1718م بحضور طبيب السفارة البريطاني تشارلز مايتلاند⁷⁶.

وكتبت قائلة: "...تم تطعيم الصبي يوم الثلاثاء الماضي، وهو الآن يغني ويلعب ويضيق ذرعاً انتظاراً لعشائه..."، وطبقاً لما شاهدته من منافع التلقيح أرسلت تقريراً إلى إنجلترا بخصوص التعامل مع المرض في إسطنبول وعندما عادت إلى لندن واجهت مقاومة شديدة لما وُصف بأنه طريقة شرقية خطيرة، فعمل رجال الدين على مقاومة اللقاح وعدّت الكنيسة من يعالج به خارجاً عن الدين لأنه من صنع المسلمين⁷⁷. ومع ذلك قامت بتطعيم ابنتها عام 1721م، كما أقنعت أميرة ويلز بتطعيم ابنتها، وكان ذلك نجاحاً باهراً، حيث منحت الموافقة الملكية بعد إجراء تجارب أمان على ستة سجناء - ثلاثة رجال وثلاث نساء - في سجن نيوغيت بلندن، وفي 29 أوت 1721م ظهرت على خمسة منهم أعراض خفيفة فقط، كما اضطرت إحدى الملقّحات إلى رعاية صبي في العاشرة من عمره مصاب بالجدري وبقيت سليمة، وأُجريت لاحقاً تجارب أكثر أماناً على خمسة أطفال متروكين في الميتم، وبعد التأكد من نجاعة اللقاح والتحقق من منافعه تم تعميمه في سائر أنحاء إنجلترا، والمصادقة عليه من قبل الأطباء الأوروبيين⁷⁸.

6.5. الدين والثقافة في الدولة العثمانية:

أبدى بعض الأوروبيين دهشتهم من كثرة المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام؛ إذ كان معظمهم من الفقراء، وقد ادعى البعض بأنهم تخلّوا عن دينهم طمعاً في الثروة والمناصب داخل الدولة العثمانية، فعلى سبيل المثال كتب الشاعر صامويل رولاند Samuel Rowland (1573-1630م) قصيدة قصيرة عن وارد الذي ارتد عن دينه ووصفه بالخائن وحذره من عقاب الله القريب، فالمرتد حسب رأيه شر داخل المجتمع المسيحي. وفي نفس السياق أرسل الكابتن هاميلتون إلى المشرق لافتداء الأسرى الإنجليز فوجد أنّ الكثير منهم اعتنقوا الإسلام، فعاد إلى بلاده وهو يجر أذيال الخيبة⁷⁹. وقد حاولت الليدي ماري في رسائلها تصحيح الكثير من التصورات الغربية السلبية عن الدين في الدولة العثمانية. فذكرت بأنّ الإسلام دين اعتدال ينبذ التطرف والهمجية على نقيض المذهب الكاثوليكي الذي تصفه بالمشوه⁸⁰، ويمكن القول بأنّها

حصلت على معلومات عن الإسلام بفضل لقاءها من أحمد بك ودراستها للغة التركية، فذكرت أنه أكد لها أنّ معرفة اللغة العربية ستجعل قراءة القرآن الكريم تجربة ممتعة، كما تزودت بمعلومات عن المذاهب الدينية في الإسلام كالقدرية والزيدية وغيرها⁸¹.

كما عبّرت عن إعجابها بالمساجد العثمانية، بقولها: "...بعض المساجد التركية بعثت في نفسي بهجة أكثر، مثل جامع السلطان سليمان ومسجد الوالدة..."، وصرّحت بأنّ كنيسة سانت بول Saint Paul ليست سوى بناء يثير الشفقة مقارنة بمسجد الوالدة بالمقابل استغربت من تردد السلطات في منحها الإذن بزيارة جامع آيا صوفيا مقارنة بسهولة زيارة الكنائس الأخرى، فذكرت في رسالة إلى الكونتيسة بريستول في 10 أفريل 1718م أنه من الصعب جدا دخول غير المسلمين إليها وهي اضطرت رغم مكانتها الاجتماعية إلى ارسال طلب إلى القائم مقام ثلاث مرات ليُجيز لها بذلك، وبعد استشارة المفتي وكبار الأفندية سُمح لها بتلك الزيارة⁸²، ورجحت أنهم فعلوا ذلك خشية أنّ يقوم أحد بالدعاء للقديسين الذين ما زالت رسومهم ظاهرة في الفسيفساء فيمسّ ذلك بقدسية الجامع، وأكدت بأنّ ما يُشاع بأنّ الأتراك دمّروا جميع الصور التي وجدوها في القسطنطينية محض افتراء وبذلك تجنبوا إصدار أحكام دينية أو قومية أو محاولة تشويه صورة الدولة العثمانية⁸³.

أشارت الليدي ماري في رسالتها إلى إحدى صديقاتها، بأنها ترغب في تعلم المزيد من اللغات، فسكان ضاحية بيرّا يتحدثون التركية، اليونانية، العبرية، الأرمنية، العربية، الفارسية، الروسية، الفرنسية، الإنجليزية وغيرها، ولاحظت بأنهم يتعلمون لغات متعددة في آن واحد، ودون معرفة كافية بمبادئ القراءة والكتابة⁸⁴. وفي رسالة أخرى إلى صديقها ألكسندر بوب بتاريخ 12 فيفري 1717م، عبرت عن إعجابها بالشعر العربي ووجدت أنّ نعماته موسيقية جداً. ولاحظت أنّ لغة الشخص العادي تختلف كثيراً عن اللغة المستخدمة في القصر فهذه الأخيرة كانت مزيجاً من العربية والفارسية، والأتراك يقدّرونها تقديراً كبيراً⁸⁵.

وبهذا يمكن القول بأنّها على عكس العديد من الرحالة، لم تخلق صورة نمطية عن الدولة العثمانية أو نسائها عبر المبالغة في التنميق أو التشويه. فقد أُعجبت هي وزوجها بكل ما يتعلق بالعثمانيين، حتى أنّ أصحابها في لندن وصفوا اللورد إدوارد بأنه أصبح رجلاً تركياً، وبذلك كسرت رسائلها الصورة النمطية الإنجليزية حول الثقافة العثمانية، وحظيت بتقدير واهتمام كبير من الإنجليز، مثل اللورد جورج غوردون

بايرون (1788-1824م) الذي ذكر بأنه قرأها في سن صغيرة عند زيارته الأراضي العثمانية في القرن 19م⁸⁶.

الخاتمة:

بناءً على ما تم ذكره؛ يمكن القول بأنه وسط الكتاب والرحالة الأوروبيين الذين رَووا تجاربهم في الشرق برزت الرحالة الإنجليزية الليدي ماري كإحدى نساء الطبقة الأرستقراطية، وقد رَوّت تجاربها في الأراضي العثمانية ضمن سلسلة من الرسائل، وهي ليست مجرد انطباعات شخصية، بل وثائق إثنوغرافية تكشف عن البنية الاجتماعية والثقافية في الدولة العثمانية خلال القرن 18م.

وتكمن أهمية رحلتها في كونها امرأة تمكنت من الوصول إلى أماكن محظورة على الرجال كما ساعدتها مكائنها الاجتماعية المرموقة كزوجة سفير من التواصل المباشر بأعلى الطبقات في إسطنبول، وبذلك قدمت وصفاً دقيقاً لأكثر الفضاءات رمزية وخصوصية في الشرق بصفة خاصة والدولة العثمانية بصفة عامة، وهما: الحرم الملك والحمام العثماني، وبذلك أضفت نوعاً من المصادقية التي لا يملكها الرجل لأنه لا يستطيع دخول تلك الأماكن. الأمر الذي أكسب رحلتها قيمة؛ إذ لم تكتفِ بإعادة إنتاج الصورة النمطية بل حاولت أن توازن بين الانبهار والحقيقة، ومنه تصحيح الكثير من المغالطات التي وقع فيها العديد من الرحالة وفي مقدمتهم السير ريكوت؛ حيث تجاوزت رسائلها أوصاف المجتمع الاسطنبولي فقدمت معلومات قيمة عن الرجل والمرأة، طرق التداءي من مرض الجذري، الحمامات، العادات والتقاليد، أخلاق العثمانيين، الدين والثقافة وغيرها من المواضيع الحضارية والفلسفية.

الهوامش:

¹ - Justine Dupouy, *Lady Mary Wortley Montagu Une épistolière au siècle des Lumières*, Presses Universitaires de Provence, Aix-en-Provence cedex, 2022, p 21.

² - Lady Mary Wortley Montagu, *The Works of the Right Honourable Lady Mary Wortley Montagu : Including Her Correspondence, Poems, and Essays*, Vol: 01, Permission from Her Genuine Papers, London, 1803, pp 9-10.

³ - Wortley Montagu, op.cit, pp11-12.

⁴ - الباب العالي : مقر الصدر الأعظم أو مقر الحكم في الدولة العثمانية، وقد أنشأه السلطان محمد الرابع (1648-1687م) سنة 1654م، وأطلق فيما بعد اسم المكان على ساكنه وهو يعني الوزير الأعظم، وكان للباب العالي أهمية بالغة

في القرن 19م، وعلى وجه الخصوص في عهد السلطانين عبد العزيز (1861-1876م) وعبد الحميد الثاني (1876-1909م). للمزيد أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د/ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/2000م، ص 49.

5 - Monica Mastrantonio, "Lady Mary Wortley Montagu : the Epistolary Woman, Because Women Could Not Be Called Philosophers, Scientists, or Inventors", Journal of the History of Women Philosophers and Scientists, 2022, p 08.

6 - Dupouy, op.cit, p 34.

7 - Mastrantonio, op.cit, p 6-2.

8 - Leili anAr-Chenderoff, **Une Anglaise parmi les Turques : Lady Mary Wortley Montagu, L'Orient des femmes**, ENS Éditions, Lyon, 2002, p 161.

9- **الحرمك** : هو القسم الخاص بالحريم أو النساء من أقسام القصور والمنازل، ويطلق في الوقت نفسه على الزوجة، أما القسم الخاص بالرجال فيسمى سلامك أي مكان الاستقبال والترحيب. للمزيد أنظر: صابان، المرجع السابق، ص 91.

10 - Ömer Ekrem Keçeci, **XVIII. Yüzyıl İngiliz Seyahatnamelerine göre Osmanlı ve İngiliz Toplumlari ve şehirleri üzerine Karşılaştırmalı bir Değerlendirme**, Yüksek Lisans Tezi, İstanbul Üniversitesi, 2020, s 14.

11- ليدي ماري ورتلي مونتجو، رسائل من تركيا (1716-1717)، تر: إيزابيل كمال، ط01، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006، ص 10.

12 - Wortley Montagu, op.cit, p29 -30.

13 - Songül Çolak, "Bir İngiliz Hanımefendisi'nin - Lady Montegu- Gözüyle Osmanlı Kadını", Mustafa Kemal Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi, Cilt: 7, Sayı: 13, 2010, s 388.

14 - Norman A. Stillman, **Encyclopedia of Jews in the Islamic world Lady Mary Wortley Montagu**, vol. III, Leiden: E.J. Brill, 2010, p455.

15- أنفيانو بون، سراي السلطان، تر: زيد عيد الرواضية، ط01، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 1435هـ/2014م، ص 09.

16 - خالد زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، ط01، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2015م، ص 41-47.

17 - جون ماري كاريه، مختارات من كتاب رحالة وأدباء فرنسيون إلى مصر، تر: سونيا نجا، رشا صالح، د/ط، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1956م، ص 60.

18 - حنا عزوز بهنان، "العلاقات التركية - البريطانية (1923-1938)", دراسات إقليمية، مج: 06، ع: 20، 2010م، ص ص 16-17.

¹⁹ - Dupouy, op.cit, p 37.

²⁰ - Çolak, op.cit, s 388.

²¹ - **عصر التوليب (1718-1730م)** : تسمية أطلقها المؤرخ أحمد وفيق بك، على الدور الثاني في عهد السلطان أحمد الثالث، ويمكن تعريفه بأنه بداية حركة التجديد في الدولة العثمانية، فقد شعرت النخبة المثقفة بضرورة الانفتاح على الغرب الأوروبي، واقتباس مظاهر الحياة المدنية، وقد اتسم هذا العهد بانتشار هواية تربية زهرة التوليب، في شتى أنحاء الدولة، والاهتمام بالجانب العمراني المدني كإنشاء القصور والأسبله والحدائق. للمزيد أنظر: إلبير أورتاي، **العثمانيون في ثلاث قارات**، تر: عبد القادر عبد المي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 1435هـ/2014م، ص81.

²² - محمد حرب، **المثقفون والسلطة تركيا نموذجاً**، ط01، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 1438هـ/2017م، ص26.

²³ - Ercan Kaçmaz, Füsün Çoban Döşkaya, "Letters from and to Lady Mary Wortley Montagu", *Çağdaş Türkiye Tarihi Araştırmaları Dergisi*, 2017, p 24-25.

²⁴ - Çolak, a.g.e, s 388.

²⁵ - Stillman, op.cit, p ,455.

²⁶ - نذير بلحاج، محمد رزمان، "مدينة القسطنطينية قبيل العهد العثماني من خلال رحلة "نسبة الأخبار وتذكرة الأخبار"، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، مج : 09، ع : 01، 2023م، ص 90.

²⁷ - برنارد لويس، **إسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية**، تر : سيد رضوان علي، ط02، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، 1402هـ/1982م، ص 126.

²⁸ - Hasan Baktir, **Representation of the Ottoman Orient in. Eighteenth Century English Literature**, a thesis of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy, Middle East Technical University, Ankara, 2007, p150.

²⁹ - مونتجو، المصدر السابق، ص 135 - 170 - 171.

³⁰ - نفسه، ص 70-124.

³¹ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 74-82-75.

³² - مونتجو، المصدر السابق، ص ص 190-191.

³³ - نفسه، ص 175-178.

³⁴ - أكمل الدين إحسان أوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر: صالح سعداوي، مج: 01، د/ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999م، ص 526.

³⁵ - anvAr-Chenderoff, op.cit, p 162.

³⁶ - Çolak, a.g.e, s 392.

³⁷ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 242.

³⁸ - مونتجو، المصدر السابق، ص 82.

³⁹ - Paul Rycaut, **The present state of the Ottoman Empire**, 1st, Pintd for John Starkey and Henry Brome, London, 1668, p 02.

⁴⁰ - مونتجو، المصدر السابق، ص 82.

⁴¹ - Çolak, a.g.e, s 392-393.

⁴² - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 16.

⁴³ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 18.

⁴⁴ - Rycaut, op.cit, p153-155.

⁴⁵ - ماجدة صلاح مخلوف، **الحريم في القصر السلطاني**، ط01، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1418هـ / 1998م، ص

39.

⁴⁶ - Rycaut, op.cit, p 12.

⁴⁷ - مونتجو، المصدر السابق، ص 88-89-156-160-186.

⁴⁸ - نفسه، ص 180.

⁴⁹ - Rycaut, op.cit, p153.

⁵⁰ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 303 -305.

⁵¹ - Çolak, a.g.e, s 396.

⁵² - Patricia Almarcegui, **"Women Travellers in the East"**, Quadernsdela Mediterrània, vol: 33,2022, p 94.

⁵³ - anvAr-Chenderoff, op.cit, p 162.

⁵⁴ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s278.

⁵⁵ - مونتجو، المصدر السابق، ص 119.

⁵⁶ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 278 -279.

⁵⁷ - مونتجو، المصدر السابق، ص 74-89.

⁵⁸ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 273.

⁵⁹ - مونتجو، المصدر السابق، ص 90.

⁶⁰ - Julia Szołtysek, **"A spectacle which would make a hundred painters drop their brushes in astonishment"** : In the Hamam with Lady Mary Wortley Montagu, Edmondo de Amicis, Jean-Auguste Dominique Ingres, and Daniel Chodowiecki", Acta Universitatis Wratislaviensis, 2015, p 94.

⁶¹ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 289.

⁶² - مونتجو، المصدر السابق، ص ص 175-176.

⁶³ - بون، المصدر السابق، ص 99.

⁶⁴ - مونتجو، المصدر السابق، ص 182.

⁶⁵ - Kaçmaz, Çoban Döşkaya, op.cit, p 32.

⁶⁶ - مونتجو، المصدر السابق، ص 117.

⁶⁷ - Elizabeth Craven, **The Beautiful Lady Craven**, John Lane the Bodley Head, London, 1913, p 103.

⁶⁸ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 222.

⁶⁹ - Kaçmaz, Çoban Döşkaya, op.cit, p 27.

⁷⁰ - مونتجو، المصدر السابق، ص 116.

⁷¹ - نفسه، ص 145-152.

⁷² - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 267-268.

⁷³ - أحمد صالح علي محمد، "الأمراض والأوبئة المعدية في الدولة العثمانية دراسة على القرن التاسع عشر"، آفاق الثقافة والتراث، 2023م، ص ص 116-117.

⁷⁴ - Patrick Berche, "**Vie et mort de la variole**", Revue de Biologie Médicale, N° 365, 2022, p 54.

⁷⁵ - مونتجو، المصدر السابق، ص ص 105-106.

⁷⁶ - Berche, op.cit, p 54.

⁷⁷ - صالح علي محمد، المرجع السابق، ص 117.

⁷⁸ - Berche, op.cit, p 54.

⁷⁹ - Baktir, op.cit, pp 144- 145.

⁸⁰ - anvAr-Chenderoff, op.cit, p 163.

⁸¹ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 18.

⁸² - مونتجو، المصدر السابق، ص 172-174.

⁸³ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 18.

⁸⁴ - مونتجو، المصدر السابق، ص 169.

⁸⁵ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s 242- 243.

⁸⁶ - Ekrem Keçeci, a.g.e. s18 .

قائمة المراجع:

- إحسان أوغلي أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، مج: 01، د/ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999م.
- أورتاليي البير، العثمانيون في ثلاث قارات، تر: عبد القادر عبد اللي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 1435هـ/2014م.
- بهنان حنا عزوز، "العلاقات التركية - البريطانية (1923 - 1938)"، دراسات إقليمية، مج: 06، ع: 20، 2010م.
- بون أتفيانو، سراي السلطان، تر: زيد عيد الرواضية، ط01، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 1435هـ/2014م.
- حرب محمد، المتقفون والسلطة تركيا نموذجاً، ط01، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 1438هـ/2017م.
- رزمان نذير بلحاج، محمد، "مدينة القسطنطينية قبيل العهد العثماني من خلال رحلة "نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار"، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، مج: 09، ع: 01، 2023م.
- زيادة خالد، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، ط01، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2015م.
- صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د/ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/2000م.
- كاريه جون ماري، مختارات من كتاب رحالة وأدباء فرنسيون إلى مصر، تر: سونيا نجا، رشا صالح، د/ط، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1956م.
- لويس برنارد، إسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تر: سيد رضوان علي، ط02، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، 1402هـ/1982م.
- محمد أحمد صالح علي، "الأمراض والأوبئة المعدية في الدولة العثمانية دراسة على القرن التاسع عشر"، آفاق الثقافة والتراث، 2023م.
- مخلوف ماجدة صلاح، الحريم في القصر السلطاني، ط01، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1418هـ/1998م.

– ورتلي مونتجو ليدي ماري، رسائل من تركيا (1716 – 1717)، تر: إيزابيل كمال، ط01، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006.

- AnvAr-Chenderoff Leili, **Une Anglaise parmi les Turques : Lady Mary Wortley Montagu, L'Orient des femmes**, ENS Éditions, Lyon, 2002.
- Berche Patrick, **"Vie et mort de la variole"**, Revue de Biologie Médicale, N° 365, 2022.
- Almarcegui Patricia, **"Women Travellers in the East"**, Quaderns de la Mediterrània, vol: 33, 2022.
- Craven Elizabeth, **The Beautiful Lady Craven**, John Lane the Bodley Head, London, 1913.
- Szołtysek Julia, **"A spectacle which would make a hundred painters drop their brushes in astonishment": In the Hamam with Lady Mary Wortley Montagu, Edmondo de Amicis, Jean-Auguste Dominique Ingres, and Daniel Chodowiecki"**, Acta Universitatis Wratislaviensis, 2015.
- Rycout Paul, **The present state of the Ottoman Empire**, 1st, Pintd for John Starkey and Henry Brome, London, 1668.
- Baktir Hasan, **Representation of the Ottoman Orient in. Eighteenth Century English Literature**, a thesis of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy, Middle East Technical University, Ankara, 2007.
- Çolak Songül, **"Bir İngiliz Hanımefendisi'nin - Lady Montegu- Gözüyle Osmanlı Kadını"**, Mustafa Kemal Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi, Cilt: 7, Sayı: 13, 2010.
- Dupouy Justine, **Lady Mary Wortley Montagu Une épistolière au siècle des Lumières**, Presses Universitaires de Provence, Aix-en-Provence cedex, 2022.
- Ekrem Keçeci Ömer, **XVIII. Yüzyıl İngiliz Seyahatnamelerine göre Osmanlı ve İngiliz Toplumlari ve şehirleri üzerine Karşılaştırmalı bir Değerlendirme**, Yüksek Lisans Tezi, İstanbul Üniversitesi, 2020.
- Kaçmaz Ercan, Çoban Döşkaya Füsün, **"Letters from and to Lady Mary Wortley Montagu"**, Çağdaş Türkiye Tarihi Araştırmaları Dergisi, 2017.
- Mastrantonio Monica, **"Lady Mary Wortley Montagu : the Epistolary Woman, Because Women Could Not Be Called Philosophers, Scientists, or Inventors"**, Journal of the History of Women Philosophers and Scientists, 2022.

- Wortley Montagu Lady Mary, **The Works of the Right Honourable Lady Mary Wortley Montagu : Including Her Correspondence, Poems, and Essays**, Vol: 01, Permission from Her Genuine Papers, London, 1803.